أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها. وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[1]. وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا. وعن الحسن: هي غير واجبة.

﴿الذين كفروا﴾ إشارةٌ إلى المنكورين.

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿بما يوعون﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء.

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾.

أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من العذاب.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء منقطع. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البروج مكية

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾.

هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه، وقيل: البروج النجوم التي هي منازل القمر، وقيل: عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها، وقيل: أبواب السماء.

وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾.

﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾.

﴿وشاهد ومشهود﴾ يعني: وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه. والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما: إما ما نكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت، كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، وإما الإبهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل: الشاهد والمشهود محمد ﷺ ويوم القيامة، وقيل: عيسى وأمّته. لقوله: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم. وقيل: أمّة محمد وسائر الأمم. وقيل: يوم التروية ويوم عرفة. وقيل: يوم عرفة ويوم الجمعة، وقيل: الحجر الأسود والحجيج. وقيل: الأيام والليالي وبنو آدم. وعن الحسن: ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل فيّ شهيد، فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة، وقيل: الحفظة وبنو آدم، وقيل: الأنبياء ومحمد عليه السلام.

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: أين جواب القسم؟ **قُلْتُ:** محذوف يدل عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾. كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونين. يعني: كفار قريش، كما لعن أصحاب الأخدود. وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتنكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحروقين بالنار ملعونين أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود. وقتل دعاء عليهم، كقوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾[3] وقرئ: ﴿قتل﴾ بالتشديد، والأخدود: الخدّ في الأرض وهو الشقّ ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان. روي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضمّ إليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه. فرأى في طريقه ذات يوم دابةً قد حبست الناس فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء. وعمي جليس للملك فأبراه فأبصره الملك فسأله فقال: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه، فقدّ بالمنشار وأبى الغلام. فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا. فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد، وتصلبني على جزع، وتأخذ سهمًا من كنانتي، وتقول بسم الله رب الغلام، ثم ترميني به. فرماه، فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: سجود القرآن، باب: سجدة إذا السماء انشقت (الحديث رقم: 1074)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة (الحديث رقم: 1018 ..578).

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 178.

(3) سورة عبس، الآية: 17.

فافتحمت[1]. وقيل: قال لها قعي ولا تنافقي. وقيل: قال لها ما هي إلا غميضة فصبرت. وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج. فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: يا أيها الناس إنّ الله أحل نكاح الأخوات، ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول إنّ الله حرّمه، فخطب فلم يقبلوا منه، فقالت له: ابسط فيهم السوط. فلم يقبلوا. فقالت له: ابسط فيهم السيف. فلم يقبلوا، فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها. فهم الذين أرادهم الله بقوله: قتل أصحاب الأخدود[2]. وقيل: وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم نو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا. فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفًا[3]. وذكر أنّ طول الأخدود أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا[4]. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوّذ من جهد البلاء[5].

النَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾.

﴿النار﴾ بدل اشتمال من الأخدود **﴿ذات الوقود﴾** وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس. وقرئ: الوقود بالضم.

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾.

﴿إذ﴾ ظرف لقتل أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ومعنى: **﴿عليها﴾** على ما يدنو منها من حافات الأخدود. كقوله: وبات على النار الندى والمحلق. وكما تقول: مررت عليه تربد مستعليًا لمكان يدنو منه.

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.

ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودًا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحدًا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب. ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾.

﴿وما نقموا منهم﴾ وما عابوا منهم وما نكروا إلا الإيمان، كقوله: ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم. قال ابن الرقيات:

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

وقرأ أبو حيوة: نقموا بالكسر والفصيح: هو الفتح، وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزًا غالبًا قادرًا يخشى عقابه، حميدًا منعمًا يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه.

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾.

﴿له ملك السموات والأرض﴾، فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقديرًا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي وإن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب. **﴿والله على كل شيء شهيد﴾** وعيد لهم. يعني: أنه علم ما فعلوا أو هو مجازيهم عليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾.

يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصةً، وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود، ومعنى: فتنوهم، عذبوهم بالنار وأحرقوهم. **﴿فلهم﴾** في الآخرة **﴿عذاب جهنم﴾** بكفرهم **﴿ولهم عذاب الحريق﴾** وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين، أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا. لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي: بلوهم بالأذى على العموم، والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين في الآخرة: لكفرهم ولفتنتهم.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾.

البطش الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدّة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام.

إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾.

﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أي: يبدئ البطش ويعيده، يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة، أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدّة بطشه، أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبداهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة. وقرئ: يبدأ.

---

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: الادعية، (الحديث رقم: 873) وأخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البروج، (الحديث رقم: 3340) وأخرجه أحمد في المسند 17/6.

(2) قال الزيلعي: رواه عبد بن حميد في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدي في الوسيط، وأخرجه البيهقي في كتاب: = المعرفة 184/4.

(3) ذكره ابن هشام في السيرة 35/1.

(4) ذكره الثعلبي في تفسيره، زيلعي 155/4.

(5) رواه ابن أبي شيبة 227/13 في كتاب: الزهد، باب: عن النبي ﷺ في الزهد.

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾.

وقرئ: يبدأ ﴿الودود﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا.

ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾.

وقرئ: ذي العرش صفة لربك، وقرئ: المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته، ومجد العرش علوه وعظمته.

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾.

﴿فعال﴾ خبر مبتدأ محذوف. وإنما قيل: فعال لأنّ ما يريد ويفعل في غاية الكثرة[1].

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾.

﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله ﴿من فرعون وملئهم﴾[2]. والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود المرسل وما نزل بهم لتكذيبهم.

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قولك: ﴿في تكذيب﴾ أي: تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه.

وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾.

والإحاطة بهم من ورائهم، مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به، ومعنى الإضراب أن أمرهم عجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشدّ من تكذيبهم.

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾.

﴿بل هو﴾ أي: بل هذا الذي كذبوا به ﴿قرآن مجيد﴾ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه، وقرئ: قرآن مجيد بالإضافة: أي: قرآن رب مجيد. وقرأ يحيى بن يعمر: في لوح: واللوح، الهواء. يعني: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح.

فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾.

﴿محفوظ﴾ من وصول الشياطين إليه. وقرئ: محفوظ بالرفع صفة القرآن. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الطارق مكية

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾.

﴿النجم الثاقب﴾ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه. كما قيل: درئ لأنه يدرؤه أي: يدفعه، ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل، كما يقال: للآتي ليلاً طارق، أو لأنه يطرق الجنى أي: يصكه. والمراد: جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها.

فإن قُلْتَ: ما يشبه قوله: وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب، إلا ترجمة كلمة بأخرى. فبين لي أي فائدة تحته؟ قُلْتُ: أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيمًا له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأنه ينبه على ذلك. فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق. ثم قال: وما أدراك ما الطارق؟ ثم فسره بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه. كما قال: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[4] روي أنّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ فانحط نجم فامتلأ ماثم نورًا فجزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رُمِيَ به وهو آية من آيات الله». فعجب أبو طالب فنزلت[5].

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: ما جواب القسم؟ قُلْتُ:

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ لأنّ إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشدّدة بمعنى: إلا أن تكون نافية، وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبًا وكان الله على كل شيء مقيتًا، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر. وروي عن النبي ﷺ: وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين[6].

---

(1) قال أحمد: ما قدر الله حق قدره، هلا قال: إنه لا فاعل إلا هو، وهل المخالف لذلك إلا مشرك، وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله، وهب أنا طرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة، أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله في جميع مراده، فما رده إلى الخصوص إلا نكوص عن النصوص.

(2) سورة يونس، الآية: 83.

(3) ذكره الثعلبي وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 186.

(4) سورة الواقعة، الآيتان: 75 ـ 76.

(5) رواه الواحدي في أسباب النزول ص 250.

(6) رواه الطبراني في معجمه.